# النشاط البحري للأسطول الجزائري خلال العهد العثماني

د. خير الدين شترة
قسم التاريخ – جامعة أدرار

الملخص

إن إشكالية هذا البحث تتمثل في ظروف نشأة الجهاد البحري الجزائري في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بداية العصر الحديث، والخبايا التي أحاطت بقيامه من توفر سفن ومنشآت دفاعية لهذه العملية، والميادين التي نشطت من خلالها، وصولاً إلى الدور الذي لعبته في مختلف مجالات الدولة الجزائرية بعد نشأتها وكيفية تأثيرها في علاقات الجزائر مع محيطها الخارجي.

وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية :

- ماهي طبيعة النشاط البحري الجزائري(القرصنة) من المنظور الديني والسياسي والاقتصادي ؟
- ماهي أهم الظروف التي أحاطت بنشأة البحرية الجزائرية في العهد العثماني ؟
- كيف كانت تتم عمليتا التنظيم والتجهيز التي اتسم بها الأسطول الجزائري ؟
- ما مدى مساهمة النشاط البحري للأسطول في دعم قطاعات الدولة ؟ وإلى أي مدى حقق التوازن في علاقاتها الدولية ؟

**مدخل :** تعتبر القرصنة ظاهرة قديمة، مارستها الشعوب التي عاشت بمحاذاة البحر المتوسط لكنها اتخذت شكلاً آخر في القرن 16م لدخولها في إطار الحروب الصليبية التي بدأت في المشرق ثم انتقلت إلى الغرب الإسلامي، حيث سارعت إسبانيا والبرتغال في إطار حروب الاسترداد إلى غزو سواحل شمال أفريقيا، وكادتا أن تحققا أهدافهما لولا ظهور العثمانيين في الحوض الغربي للمتوسط مما أدى إلى نقل الصراع إلى البحر، وبذلك كانت الأساطيل البحرية هي سيدة الميدان في حسم ذلك الصراع.

وعليه فإن إشكالية هذا البحث تتمثل في ظروف نشأة الجهاد البحري الجزائري (المسمى بالقرصنة) في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بداية العصر الحديث، والخبايا التي أحاطت بقيامه من توفر سفن ومنشآت دفاعية لهذه العملية، والميادين التي نشطت من خلالها وصولاً إلى الدور الذي لعبته في مختلف مجالات الدولة الجزائرية بعد نشأتها وكيفية تأثيرها في علاقات الجزائر مع محيطها الخارجي. وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية :

- ماهي طبيعة النشاط البحري الجزائري(القرصنة) من المنظور الديني والسياسي والاقتصادي ؟
- ماهي أهم الظروف التي أحاطت بنشأة البحرية الجزائرية في العهد العثماني ؟
- كيف كانت تتم عمليتا التنظيم والتجهيز التي اتسم بها الأسطول الجزائري ؟

- ما مدى مساهمة النشاط البحري للأسطول في دعم قطاعات الدولة ؟ وإلى أي مدى حقق التوازن في علاقاتها الدولية ؟

## 1/ طبيعة النشاط البحري الجزائري من المنظور الديني والسياسي والاقتصادي

شاع مصطلح القرصنة بين دول الحوض الغربي للبحر المتوسط، فلكل وجهة نظره انطلاقا من ايدولوجيته ومعتقداته. لذا كانت النتيجة تعدد التعاريف وتنوع التسميات لهذا المصطلح

فهي من الناحية اللغوية وعلى أرجح الآراء مشتقة من الكلمة الإيطالية (corsa) وتعني السباق، ومنها اشتقت كلمة التسابق، وهو الذي يقوم بفعل التسابق، واستعملت هذه الكلمة للتسابق البحري أي الهجوم والاعتداء على السفن أو سواحل الدول الأخرى في القرن الرابع عشر ميلادي[1].أما في اللغة الفرنسية فإن المصادر التي ترجع إلى القرن 15م تخلو من أي ذكر لكلمة قرصنة، فاستعملت كلمة Attaque التي تعني الهجوم، وكذلك Ecumeur بمعنى المهاجم أو القرصان، وهي مشتقة من الفعل Ecume وتعني الرغوة أو زبد البحر هذا في المعنى اللغوي أما حالياً فلها مرادف وهو Pirate بمعنى قرصان Piraterie بمعنى قرصنة.

أما القرصنة اصطلاحاً فهي مأخوذة من الأثر الذي تتركه السفن خلفها في عرض البحر أثناء عبورها وهي عبارة عن الرغاوي

---

1 - بلقاسم عياش، قضايا التاريخ العثماني عند الباحثين الجزائريين منذ 1962، ماجستير في التاريخ، قسنطينة : جامعة الأمير، 2007، ص4

وتعني كذلك سفلة القوم، وفي كلتا الحالتين فإن هذا المعنى ينطبق على القراصنة، ولم تدخل كلمتا قرصنة وقرصان إلى اللغة الفرنسية إلا في القرن 16م[1].

وعموماً فإن ظاهرة القرصنة قديمة قدم التاريخ فهي تتألف عادة من النشاط الذي يعتمد على المصادفة، والتي تضيف ثروة مكملة لتلك الثروة الموجودة في مجتمع يحي دائماً في حدود إمكانياته، وكذلك هي حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب أو ترخيص يتم بموجبه تجهيز سفينة حربية بجوازات سفر، ولجان وتعليمات في تلك الفترة[2]. كما يعرفها ابن خلدون بقوله : « شرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة في جمع النفير والطائفة من غزاة البحر، ويصطنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزرهم على حين غفلة، فيخطفون ما قدروا عليه، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالباً، ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى، حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم، وتضج طرق البلد بصخب السلاسل والأغلال عندما ينشرون في حاجاتهم.»[3]

---

1 - جبار عبد الناصر، بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط، ماجستير، -غير مطبوعة- جامعة القاهرة، 1990، ص99

2 - كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، تر.جمال حمانة، الجزائر : د.م.ج، 2007، ص49.

3- نورالدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، الجزائر : دار الحضارة، 2006، ص. (63-64)

وهذه المقولة من ابن خلدون تثبت بلا جدال معرفة السكان في تلك الفترة - ولربما قبلها بسنين- لظاهرة القرصنة وإن لم يسميها باسمها والتي يبدو أنها اصطلاحيا لم تعرف إلا بعد فترة من ذلك، كما اتضح لنا من المقال أنهم عرفوا نوعين من القرصنة هما : قرصنة بحرية وهدفها اصطياد السفن في البحر، والثانية هي مهاجمة المدن الساحلية على اعتبار أن هذه تعد نوعاً من أنواع القرصنة.

ويرى البعض أن القرصنة هي اللصوصية والنهب على مياه الأقاليم بعيداً عن سلطان الدولة، غير أن هذا التعريف لا يعبر بدقة عن مصطلح القرصنة فهي لا تعني دائماً اللصوصية لأن هذه الأخيرة تلفظ Piraterie أو Piracy، ويطلق على ممارسيها اسم لصوص البحر أو قطاع الطرق البحرية، ويقوم بهذا النوع من النشاط البحري مجموعات من اللصوص لحسابهم الخاص، وهم لا يفرقون بين السفن الصديقة أو العدو المسيحي أو المسلم[1]. فغرضهم الأول هو الحصول على الغنائم بصرف النظر عن هوية الضحية وهذا النوع يكاد ينفرد به القراصنة الأوروبيين.

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح لنا أن القرصنة هي تلك الحملات التي شنتها دولة ضد دولة أخرى لأسباب عدائية بين الطرفين، بهدف إضعاف قدراتها القتالية وذلك عن طريق أخذ سفنها بما حوت. غير أن التعريف الذي وضعته دائرة التعارف لاروس يكاد يكون هو الأكثر إحاطة بعملية القرصنة، حيث جاء فيه : «

---

1- عبد الناصر جبار، المرجع السابق، ص100.

أن القوات التي تقوم بالقرصنة ليست قوات نظامية وإنما قوات خاصة مهمتها ملاحقة سفن عدو التجارية، وضربها دون الاعتماد على القوات البحرية النظامية التي لا تستخدم إلا في الحرب»، إذاً فالقرصنة هي نوع من الحرب المحدودة الغير معلنة، أو هي شكل بديل لحرب الأساطيل لا مناص منها في ظل الظروف التي كانت سائدة في تلك الفترة[1].

أما بالنسبة للمسلمين فقد اختلفت تعريفاتهم لهذا المصطلح، حيث أطلقوا عليه اسم الجهاد البحري، وكلمة الجهاد مأخوذة من كلمة الجهد وهو بذل الطاقة والمشقة في مقاتلة العدو ولا سيما إذا كان جهاداً حقيقياً من أجل وجه الله، وإعلاء كلمته ورفع راية الحق، ومحاربة الباطل، وإذا خرجت عن هذا المفهوم لا تسمى جهاداً[2]

لكن الدول الأوروبية اعتبرت ذلك العمل قرصنة، إذ سلطت أدبياتهم أضواء كثيرة على عمليات القرصنة التي كان يقوم بها الجزائريون، كونها كانت موجهة ضد السفن الأوروبية فسببوا الكثير من المتاعب لأوروبا المتوسطية وقد وصفهم "هايدو" بقوله : «...كان القراصنة يبحرون أثناء الشتاء والربيع ويطوفون في البحر من الشروق إلى الغروب ساخرين من سفننا التي كان بحارتها في ذلك الوقت يتسلون باللهو والقصف في الموانئ، وكان القراصنة

---

1 - الموسوعة العربية العالمية، مج18، ط2، الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة، 1999، ص 155.

2 - عبد العظيم بن بدوي، الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز، تق.صفوان نور الدين وآخرون، مصر : دار بن رجب، 2003، ص. (481-485)

يعرفون أن السفن المسيحية الثقيلة هذه التي لا تستطيع أن تحلم بمطاردة سفنهم الخفيفة، وأن تمنعهم من النهب والسرقة....»[1]ومن خلال هذا الوصف يُرجع "هايدو" تفوق السفن الجزائرية على السفن المسيحية إلى عدم مبالاة السفن الأوروبية، مما يعد تقليلاً من مكانة البحارة الجزائريين، ولقد بعض المؤرخين الأوروبيين أمثال "جورج مارسي"George Marcais واندري سايوس A Soyous.....أن يشيروا إلى لأن المسلمين هم قراصنة ولصوص بحر، وهم الذين علموا القرصنة للأوروبيين وقد سبقوهم إليها، لكن الحقيقة والواقع عكس ذلك وهو ما ذهب إليه دوماس لاتريDemas Latrie من أن البادئ بها هم الأوروبيين وأن مسؤولية الجانب المسيحي عن النهب والسلب الذي تعرضت له الحياة البحرية أكبر بكثير من مسؤولية المسلمين، وهذا ما أكده أيضاً "ادوار كانط"عندما قال : « كان الهولنديون والانكليز وأناس من جميع الدول، أكثر شرهة ووحشية في قرصنتهم من الجزائريين، بحيث أصبح البحر الأبيض المتوسط بؤرة لقطاع البحر».[2]

كما أورد هذه المعاملة السيئة والوحشية المؤرخ "شارل أندري جوليان"من خلال تطرقه إلى الحديث عن معاملة الأسرى الأوروبيين والمسلمين الذين كانوا على متن سفن التجديف، بحيث يقول : «إذا كانت حياة الأسرى الأوروبيين المستعملين في تجديف السفن تثير

---

1 - محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ط2، بيروت : مكتبة دار الشرق، 1979، ص91

2 - عبد الناصر جبار، المرجع السابق، ص 107.

أكبر شفقة، فقد كان أسعد حظاً بكثير من الأسرى البربر الذين كانوا مستعملين في تجديف سفن ملك فرنسا، والذين كانوا يوسمون بالحديد المحمي ويمنعون من ممارسة شعائر دينهم».[1]

## 2/ ظروف نشأة البحرية الجزائرية

لقد وجدت فكرة الجهاد البحري تربة خصبة لتنمو وتترعرع في الحوض الغربي للبحر المتوسط فتبنتها الدول المغاربية وباركها المشايخ وساعدتها الظروف المحيطة بها سواء كانت دولية أو إقليمية.

**1-2 الظروف الدولية :** لقد اجتمعت عدة ظروف نذكر منها :

- ❖-لقد حسم العثمانيون الصراع بين المسيحيين والمسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط بعد سقوط القسطنطينية سنة 1453م على يد محمد الفاتح[2] وعجزوا عن استردادها فولوا وجههم نحو الغرب في الأندلس.
- ❖- سقوط غرناطة سنة 1492م آخر معاقل المسلمين في الأندلس مما أدى إلى طرد المسلمين منها وملاحقتهم إلى السواحل المغاربية من طرف الاسبانيين بناء على وصية الملكة"إيزابيلا" سنة 1504م التي

---

1 - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج1، الجزائر : دار الأمة، 2007، ص.(74-75)

2- **السلطان محمد الثاني**، تولى الحكم بعد وفاة والده في 16 محرم 855هـ / 18 ابريل 1451م، وكان عمره 22 سنة، كان قويا، عادلا، طور الجيش والجهاز المالي للدولة وطور أسلحة الجيش، ومن أهم أعماله فتح القسطنطينية، ينظر، عبد اللطيف بوجلخة، الدولة العثمانية، (د، ط)، دار المعرفة : الجزائر، (2005)م، ص 15.

ألحت على وجوب مواصلة اضطهاد المسلمين وغزو السواحل الإفريقية لفتحها بحسب نظرهم لذا صمم"فرديناند" على تنفيذ هذه الوصية[1].

❖-التنافس بين الدول الأوروبية وما انجر عنه من صراعات وتوترات تجلت في :

- ✓الصراع الاسباني والبرتغالي ضد مسلمي الأندلس المطرودين والمطاردين من جهة أخرى وكذلك ضد بلدان المغرب الإسلامي التي تؤويهم من جهة أخرى.
- ✓الصراع الفرنسي والاسباني المسيحي الكاثوليكي الذي تجلى في عهد" فرانسوا الأول" و"شارلكان" سنة 1556م من جهة ومن جهة أخرى الصراع مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة[2].
- ✓تنافس اسبانيا وجرمانيا وكذلك هولندا وفرنسا وانجلترا فيما بعد على اكتساب المستعمرات والسيطرة على التجارة العالمية أثناء القرنين 17م و18م[3].

---

1- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية : الجزائر ( 1964 ) م، ص 22.

2- بوعزيز (يحي)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر : د.م.ج، 1999م، ص 236.

3- حنيفي هلايلي، " التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع24، دار الهدى : عين مليلة 2007م، ص255.

❖- اختلال التوازن لصالح العالم المسيحي الذي جاء بعد مرحلة التفوق الإسلامي طيلة القرن11م وعقب التوازن الذي ساد القرون الثلاثة المتتالية أي القرن 12م و13م و14م، ثم النهضة الاقتصادية والعلمية المتسارعة التي عرفتها أوروبا في الوقت الذي بدا فيه العالم الإسلامي يعرف ركودا اقتصاديا وخمولا فكريا لم ينقذه من هذا الوضع المتدهور إلا ظهور العثمانيين على مسرح الأحداث الدولية وخصوصا في الحوض الغربي للبحر المتوسط بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة[1].

**2- 2 الظروف الإقليمية**

❖-الموقع الجغرافي الممتاز للجزائر وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا والمتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد 1200كم، مما جعلها طيلة الفترة العثمانية محط أنظار وصراع بين دول ضفتيه الشمالية والجنوبية ومن أجل ذلك نقلت هاته الحرب إلى أرض العدو فكانت فكرة الجهاد ضرورة ملحة لا يمكن تأجيلها.وتحقق ذلك إذ أن الأسطول الجزائري أصبح يجوب الحوض الغربي للمتوسط ويهاجم الاسبانيين والبرتغاليين في عقر دارهم[2].

---

1- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 2000م، ص. 191.

2- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ( د، ط)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد : الجزائر، (1994)م، ص. 34.

❖-الإيمان بحق الدفاع عن دار الإسلام بعد سقوط الأندلس وحلول الأسبان بالسواحل المغاربية مما جعل البحارة الأندلسيون يبحثون عن الاستقرار، والدفاع عن أنفسهم، فلجأوا إلى الجهاد بدافع ديني، أكثر منه اقتصادي خلال الفترة الأولى(1516-1546)م. فقد اشتهر هؤلاء الأندلسيون في أعمال القرصنة ومبادلة الأسرى والمشاركة الفعالة في تمويل مشاريع الجهاد البحري.وعمل الموريسكيون[1] على تنشيط هذه الحركة الجهادية والهجوم المتواصل على السواحل الاسبانية[2].

3- تكونت النواة الأولى للجهاد البحري من طرف الأندلسيين والتي ظلت غير منظمة ضد الأسبان والبرتغاليين حتى ظهور الأخوين بربروس[3] اللذان عملا على تنظيم الصفوف وتوجيهها نحو الهدف المشترك المتمثل في مهاجمة الصليبيين فاعتمدوا في البداية على أسلوب الكر والفر في البحر بسبب عدم قدرتهم على الدخول في حرب نظامية مباشرة ضد القوى المسيحية (الاسبان، البرتغال، فرسان القديس يوحنا)[4].

---

1 الموريسكيون : هم فئة جاءت إلى المغرب الأوسط في القرن 16م وكان لهم تأثير كبير في الجانب الثقافي، ينظر، رموم محفوظ، المرجع السابق، ص. 51.

2- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، ط2، دار المعرفة : لبنان، ( 2005)م، ص. 230.

3- **الأخوين بربروسة** : نقصد بهما عروج وأخوه خير الدين، وأصلهما من جزيرة مدللي وهي جزيرة يونانية، وأبوهما يعقوب، ولهما أخوين اسحاق والياس ذاع صيت عروج وأخيه في الحوض الغربي للمتوسط لإنقاذهم للأندلسيين، ينظر، مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتع : نور الدين عبد القادر، (د ، ط)، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية : الجزائر، (1934)م، ص. 6.

4- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 191.

ومما سبق التطرق إليه في هذا الفصل نستنتج أن مصطلح القرصنة لم يظهر بهذا المفهوم إلا في القرن 16م، بحيث عرف في القرن 14م على أنه عبارة عن « عمليات تمثلت في هجومات واعتداءات على السفن الأخرى، فاختلف فيه الأوربيون ومسلموا شمال إفريقيا بحيث اعتبره الفريق الأول على أنه استيطان للبحر يعتمد فيه على المصادفة، جاء ليكمل الثروات الموجودة.أما الفريق الثاني فقد اعتبره نوع من الجهاد البحري، وهو حق مشروع ضد هجومات الفريق الأول المتكررة.

ومهما كان من تلك الآراء التي ذهب إليها الطرفان، فإن ما قام به مسلمو شمال إفريقيا بوصول الأتراك العثمانيين إلى مسرح الأحداث في تلك الحقبة الزمنية جاء كرد فعل على التحرشات الاسبانية والبرتغالية على السواحل المغاربية ومن هنا كسب شرعيته والتي تمثلت في الدفاع عن العرض والمال والأرض، لكنها بمرور الوقت، واستقرار الأتراك العثمانيين بالمنطقة تحولت إلى عملية قرصنة بحتة، أنشأ لها أسطول يقوم بها بشكل منظم، وهذا ما سنتطرق إليه فيما سيأتي.

### 3/ سفن القرصنة الجزائرية خلال العهد العثماني

نتحدث في هذا المبحث عن الأسطول الجزائري الذي لطالما بث الرعب في قلوب أعدائه من خلال حضوره القوي في البحر، معتمدا في ذلك على تنظيمات دقيقة جعلت أعدائه يشيدون به بدءا من صناعة قطع سفن الأسطول إلى تجهيزه، وصولا إلى خروجه للقيام بعملياته ثم العودة إلى الوطن محملا بالغنائم.

**3- 1 أنواع سفن البحرية**

قبل أن نبدأ الحديث عن أنواع السفن التي تكوّن منها الأسطول الجزائري في العهد العثماني، نشير أولا إلى مصدرها الذي أثار الكثير من الاختلاف.فقد ظهرت عدة اتجاهات حولها منها :

**الاتجاه الأول** : يرى أن صناعة سفن الأسطول الجزائري كانت من طرف سكان الجزائر الذين ساعدهم في ذلك مسيحيون أحرار وموالي.

**أما الاتجاه الثاني** : فيرجع فيه فضل ازدهار صناعة السفن إلى الأندلسيين [1] العارفين بالملاحة وفنونها وقد استقروا في شمال إفريقيا خلال موجة حروب الاسترداد وما بعدها.

**أما الاتجاه الثالث** : فنظرته قريبة من الاتجاه الأول، حيث يرى أن فضل ازدهار صناعة السفن بالبلاد الجزائرية يعود إلى الأوروبيين من الأسرى والأعلاج.

لكننا إذا تأملنا هذه الآراء فإننا نلاحظ أن الرأي الأول يبرز دور المسلمين في صناعة قطع الأسطول، ويضع الفئات الأخرى في مرتبة ثانوية. أما الرأي الثاني فيبرز دور الأندلسيين باعتبارهم طائفة مثقفة ومتحضرة لما عرف عنهم في الأندلس من تقدم حضاري مهملا

---

1 **الأندلسيون** : ينتسبون إلى الوندال، وهم أحد الشعوب الجرمانية المتبربرة التي استولت على اسبانيا عام 409م وسكنوا جهات غرناطة وجيان، فسميت باسمهم الأندلس ينظر، يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطى، ج1، ( د- ط )، ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر، ( 2007)م، ص 24.

في ذلك دور المسلمين المغاربة والأوروبيين. أما الرأي الأخير فيرجع كل الفضل في صناعة سفن الأسطول الجزائري إلى الأوروبيين وذلك بواسطة الأسرى الذين أُسروا أثناء عمليات القرصنة، ولم يهمش دور الأتراك البارز من خلال دور الأعلاج.

والحقيقة مهما اختلفت الآراء، فان صناعة سفن الأسطول قد ساهم الجميع فيها، لأن العثمانيين أمة عسكرية وضعت النواة الأولى لسفن الأسطول، كما لعب الأندلسيون دورا كبيرا فيه خاصة في صناعة المدافع[1] فجسد أسرى الأوروبيين هذه التقنيات في الميدان.بالإضافة إلى فئات أخرى، فكان لكل نصيبه في بناء وتقوية الأسطول الجزائري.

**أولا** : كانت تلك السفن تصنع من الأخشاب التي جلبت من بجاية، أو من خلال السفن المسيحية التي يستحوذون عليها من خلال العمليات البحرية بعد تفكيكها حتى ولو كانت جديدة لاعتقادهم أن استخدامها في الغزو كما هي سيلحق بهم مصيبة، وحتى الملوك كانوا يمنعونهم من استعمالها وهي جاهزة[2].

---

1 عبد المجيد قدور، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرن ( 16 و17)م / 10-11 هـ رسالة ماجستير، تاريخ إسلامي، محمد أمين محمود يدوي، جامعة الأمير عبد القادر : قسنطينة، ص. ( 325 – 326 ).

2 جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ( 1500 – 1830 )، ( د، ط )، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ( 1987)م، ص 109.

وكان القادة الجزائريون يسهرون على استغلال هذه الإمكانيات، خاصة منها مادة الخشب لصنع الزوارق السريعة التي تستعمل في الهجوم بما يستلزم مراعاة الدقة في الصنع[1].

**وثانيا** : كانت تجلب الأخشاب عن طريق الاتفاق مع المقرانيين[2] منذ سنة 1702م، وهذا الاتفاق نص على أن يقوم المقرانيون بتوفير الأخشاب مقابل الحصول على أراضي زراعية، وعلى اثر ذلك أنشأت مصلحة خاصة لهذه الأخشاب علرفت بالكراستة[3]، وكان مقرها في البداية بجاية ثم جيجل والقل، وكانت أجود أنواع الخشب تلك الموجودة في بني فوغال غرب جيجل وتسمى الزان[4]، أما بالنسبة للحبال والأحزمة والأشرعة، فحصلوا عليها عن طريق الاتفاق مع الأقاليم الهولندية، كما أن اليهود كانوا يجلبونها من القورنة وطنجة[5]، وأثناء صناعة هذه المراكب كان صانعوها يراعون

---

1 Moulay belhamissi, Marine et marins d'Alger, ( 1518 – 1830) Tom II, ( Face à – l'Europe), Biliothéque Nationale d'Algeie : Alger ; ( 1996), p63.

2 **المقرانيين :** ينتسبون إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكرون أن أجدادهم من قبائل عياض هاجروا إلى إقليم المغرب العربي في القرن 11م، واستوطنوا بجبال قلعة بني حماد، وتفرعوا إلى عدة قبائل، ينظر، بسام العسلي، محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، ط3، دار النفائس : الجزائر، ( 1990)م، ص 120.

3 تعني الألواح وغيرها من القطع الخشبية باللغة التركية.

4 صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي ( 1514 – 1830 )، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع : الجزائر، ( 2007)م، ص 322.

5- طنجة : تحيط بها مدن وقرى للبربر كثيرة، ومدينتها الكبرى فاس، ينظر، لابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المسالك والممالك، تح، محمد جابر عبد العالي الحني، مر، محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد : سوريا، 1961م، ص 34.

بالدرجة الأولى ويهتمون بسرعتها وخفتها وهذا لضمان تأدية مهمتها[1]، ويمكننا إبراز أنواع هذه السفن عبر فترات التواجد العثماني في الجزائر.

**أولا** : إن الأسطول الجزائري من الفترة الأولى(1529)م كان يتكون من ثمانية عشر غليوطة، بالإضافة إلى عدد من السفن الأصغر حجما.[2]

وبصفة عامة في القرن 16م أشار صاحب كتاب الغزوات إلى وجود نوع الفرقاطات FREGATE وهي عبارة عن سفينة ضخمة وكبيرة ذات ثلاث صواري، وتسير بالمجاديف وتستعمل للمسافات الطويلة، وللحروب الشديدة تحمل عددا كبيرا من المدافع والعتاد الحربي، والعشاريات والغلياطات GALOITTE وهي سفينة مجدافية تستعمل للمسافات القصيرة على السواحل، بالإضافة إلى الجنان.[3]

**ثانيا** : في القرن 17م أضيف إلى هذه السفن البركانتي BOGANTIN وهو يشبه القلعة المدفوعة بالمجاديف الذي تواصل استعماله في البحرية حتى نهاية القرن 18م، والبرتون الذي عرفته الجزائر بفضل المهاجرين الأندلسيين الذين طردوا في عهد الملك الاسباني فيليب الثالث 1609م.

---

1 -Moulay belhamissi, OPCIT, p63.

2- جون ب.وولف، الجزائر وأوروبا، تر.أبو القاسم سعد الله، الجزائر : م.و.ك، 1995، ص 180.

3- حنيفي هلايلي، "المرجع السابق، ص 265.

بالإضافة إلى السفن المستديرة والمدفوعة بالشراع كالشختورة والتي تم تطويرها بأوروبا منذ سنة 1600م.[1]

**ثالثا** : في مستهل القرن 18م ومطلع القرن 19م فان الأرشيفات القنصلية الفرنسية قدمت لنا أنواعا من السفن المستخدمة في الأسطول الجزائري منذ سنة 1737م إلى سنة 1830م.

فتمثلت في الشطيات والصنادل GABARRE والشينيات GALERE ونصف الشينيات D.GALERE والأغربة والفرقاطات والغليوطات والشالوبات CHELOUPE والبولاكو.POLACRE[2]

كما أن الشريف احمد الزهار أورد أنواعا أخرى من سفن الأسطول الجزائري في مذكراته وهي متمثلة في : البركنتي ويحمل 24مدفعا ، والكرايك واللكطاط، بالإضافة إلى الزوارق الصغار من غير مدافع تدعى بالفشكايف والبلاندرة التي تحمل 24مدفعا والكرابيط والشطية وكذلك البلاكرة والسكونة والزنبطوط وهي سفن حربية خفيفة وسريعة يستعملها لصوص البحر اليونانيون، وقد غنمها منهم الجزائريون.بالإضافة إلى الفيجوا وهي عبارة عن سفن صغيرة الحجم من جنس بلاكروز.[3]

---

1- المرجع نفسه، ص 266.

2- درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع : الجزائر، ( 2007)م، ص. ( 223 – 229).

3- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار ( نقيب أشراف الجزائر )، تح، احمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ( 1980)م ص- ص ( 25-33-154).

رابعا : ان هذه السفن أوردتها المصادر الأوروبية المعاصرة في شكل إحصائيات على سنوات مختلفة[1] والجدول الأتي يوضح ذلك :

| السنة | عدد السفن | السنة | عدد السفن |
|---|---|---|---|
| 1724 | 25سفينة | 1815 | 30سفينة |
| 1734 | 14سفينة | 1822 | 12سفينة |
| 1760 | 60سفينة | 1825 | 14سفينة |
| 1799 | 12سفينة | 1830 | 15سفينة |
| | | | |

هذا الجدول يوضح لنا أن عدد سفن الأسطول الجزائري في أوائل القرن 18م عرفت نوعا من الانتعاش لكن بعد مؤتمر فيينا سنة 1815م بدأ يتراجع هذا التعداد كنتيجة لحملة أكسموث الشهيرة سنة 1816م والتي دمرت البنية التحتية للأسطول ثم أعيد تكوينه بعد ذلك بصفة جزئية بلغت أقصى حد لها سنة 1825م قبيل الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائر والذي دام ثلاث سنوات، وهناك إحصائيات أخرى لقطع الأسطول الجزائري حينذاك من سفن ومدافع وعدد من الرجال في كل سفينة عبر سنوات مختلفة يمكننا إبرازها من خلال الجداول الآتية :

---

1 حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 270.

جدول يعود لسنة1681م، حسب ما أورده المبعوث الفرنسي "هاييت" من تقارير حول القوات البحرية لمدينة الجزائر :

| اسم السفينة | اسم القائد | عدد قطع المدافع | عدد الجنود |
|---|---|---|---|
| الوردة | غالي رايس اميرال | 36 | 400 |
| الحصان الأبيض | مصطفى رايس | 34 | 380 |
| الجانوي | غالي رايس | 32 | 380 |
| فرقاطة | / | 22 | 250 |
| البسطانجي | / | 30 | 320 |
| السبكانيي | رجب رايس | 24 | 300 |
| الأسد الأحمر | / | 26 | 300 |
| الجوهرة | / | 34 | 340 |
| القنوس | / | 34 | 340 |
| البولوني | يوسف رايس | 30 | 320 |
| سفينة جديدة | / | 32 | 400 |
| النجوم السبعة | / | 30 | 320 |
| الوردة الصغيرة | / | 28 | 300 |
| مدينة الجزائر | / | 30 | 300 |
| الحصان الذهبي | مصطفى رايس | 34 | 380 |
| الاسد الذهبي | غالي رايس | 34 | 400 |

أما الجدول التالي فهو لسنة 1753م.[1] :

| اسم السفينة | عدد المدافع | عدد المنجنيق | الجهة التابعة لها | اسم الرايس |
|---|---|---|---|---|
| الغزالة | 52 | | البايليك | موسى رايس |
| الأسد الأبيض | 40 | | خواص | علي رايس |
| غراب | 22 | | خزندار | حاج علي رايس |
| الشباك الأول | 24 | 16 | البايليك | الحاج مبارك |
| الشباك الخامس | 16 | | باي تيطري | طبال اسماعيل |
| الشباك العاشر | 12 | | ابراهيم خوجة | سليمان رايس |
| غليوطة واحدة من 12صفوف من المقاعد | 2 | 6 | البايليك | |
| غليوطة واحدة من 8صفوف من المقاعد | | 4 | البايليك | |
| غليوطة واحدة من 11صفا من المقاعد | | 4 | البايليك | |

1 جمال قنان، نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص. ( 107 – 192 ).

وهذا جدول يعود إلى سنة1805م :

| نوع السفينة | عددها | عدد مدافعها |
|---|---|---|
| الفرقاطة | 2 | 44-46مدفعا |
| كروفات | 1 | 34مدفعا |
| شباك[1] | 6 | 18مدفعا |
| غليوطة | 2 | 16مدفعا |
| غالية | 1 | 03مدافع |
| غليوطة | 2 | 03مدافع |
| شالوب(زورق) | 144 | 01مدفعا |

هذا الجدول يوضح لنا تنوع السفن في الأسطول الجزائري بالرغم من أن عددها كان قليلا.وإما بالنسبة للمدافع فتوضع في السفن على حسب الأهمية.

كما تجدر الإشارة بنا إلى مورد آخر ساهم في زيادة عدد قطع الأسطول وهي "الغنائم" بحيث أصبحت الترسانة الجزائرية سنة1724م تتكون من السفن الآتية[2] :

---

1 **شباك** : سفينة عربية الأصل ذات ثلاث صواري.

2 حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص. ( 271 – 272 ).

الجدول الآتي يوضح مساهمة الغنائم في الأسطول والتي قدرت ب51% :

| عدد السفن | عدد المدافع | مكان الصنع | عدد السفن | عدد المدافع | مكان الصنع |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 52 | سفن مصنوعة في الجزائر | | | سفن مصنوعة في ايطاليا |
| 1 | 50 | | | | |
| 3 | 44 | | | | |
| 1 | 40 | | 1 | 26 | |
| 2 | 38 | | 1 | 10 | |
| 4 | 32 | | 1 | 14 | |
| 1 | 26 | سفن مصنوعة في هولندا | | | سفن مصنوعة في اسبانيا |
| 1 | 26 | | | | |
| 1 | 22 | | | | |
| 1 | 16 | | 1 | 14 | |
| 1 | 14 | | | | |
| 1 | 22 | سفن مصنوعة في انجلترا | | | سفن مصنوعة في البرتغال |
| 1 | 16 | | | | |
| 1 | 12 | | 1 | 10 | |

وحتى الإتاوات العينية التي تدفعها البلدان الأوربية مقابل السلم شكلت موردا آخر للأسطول فكانت هولندا تدفع سنويا 10.000 ليرة مع الألواح والأخشاب والبارود والقنابل والمدافع والحبال.وكانت الدانمارك والسويد تقدمان الخشب أما انجلترا فكانت تدفع مواد صغيرة متعلقة بالسفن وتجهيزاتها وفرنسا كانت تدفع الحبال والبارود.[1]. أما الدول الأوروبية الأخرى فكانت تقدم المدافع والبارود والذخيرة والحديد الصلب وهذه الإتاوات كانت تتماشى مع فترات السلم والحرب.[2]

---

1 Venture de paradis, Alger aux VIII eme Siècle, tom2, Editions Bouslama : Tunis, p(40-44 ).

2 كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص. ( 51-52 ).

ومما سبق ذكره نستنتج أن الأسطول الجزائري كان متنوع من حيث الأشكال والنوعية للمعدات التي تعكس مستوى تقني عال، وخبرة لا توجد في الحياة المتوسطة في تلك الحقبة من الزمن، وهذا نابع من النظام الصارم، والتجهيز الدقيق اللذان مكناها من تبوء ه المكانة المرموقة في الحوض الغربي للبحر المتوسط وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي.

**3- 2 : نظام التجهيز وكيفية العمل**

تولدت فكرة تنظيم وتجهيز السفن، للضرورة الملحة اتجاه الاعتداءات الاسبانية على السواحل المغاربية لذلك وجب إخضاعها إلى تنظيم دقيق ومحكم، وتجهيزها للقيام بعملها في البحر.فكان لابد أن تتسم مثل هذه الاستعدادات بالحيطة والحذر ولاسيما أن العدو أثبت جدارته وقدراته في البحر.

**أولا : في مجال التنظيم** : كان لابد لقادة السفن الحربية الاعتناء بسفنهم، لأنهم يعتبرونها الآلات الحقيقية للعمل فيقومون بتفقدها من حيث النظافة والنظام والترتيب.فكانت هذه السفن كلها صغيرة السعة تعتمد على السرعة والخفة، وانضباط المجدفين القاسي، فكانوا يربطون في أماكنهم ولا يتحركون أثناء عملية التجديف.وهذه المقولة توضح ذلك : «...كانوا لا يسمحون لأي شخص ولو كان الباشا نفسه أن يغير مكانه أو أن يتحرك من المكان الذي يكونون فيه...» [1]وهذا يدل على الصرامة والدقة في هذه العملية.وهو

---

1 محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 91.

ما يبين الأهمية البالغة لها، لأن أي خطأ قد يكلف قائد السفينة الكثير أثناء المعارك، وأثناء القتال فإن عملية الهجوم تأتي أولا ثم يليها الالتحام بالسلاح الأبيض وهذا هو النظام المعمول به، وبعد العودة يتم تفحص السفن بعناية فائقة، وتشحذ السيوف ثم يتم تلحيمها من جديد وكانت عملية القرصنة لا تدوم أكثر من 50يوما، ونادراً ما كانت تصل إلى هذه المدة، كما أنهم كانوا لا يخرجون في فصل الشتاء للعمليات البحرية إلا نادراً فيضطرون إلى استغلال هذه الفترة في إصلاح السفن وتفقدها.[1] حيث كانت السفن تجرد من جميع تجهيزاتها ومعداتها في الميناء وحتى ثقل الموازنة الذي يتكون من الأحجار والرمال تنزع من ظهر كل سفينة وتوضع في المخزن التابع لها، ولا يسمح لأي سفينة أخرى باستعماله ولا يبقى على ظهرها سوى السارية والخشبة التي تشد إلى السارية لتثبيت الأشرعة أما السفينة فإنها ترسو بالرأس والمؤخرة، كما أن السفن الصغيرة تشد حبالها قريبة من السفن الحربية الكبيرة والمخازن الحديثة البناء، وهذا الميناء كان يحرسه باستمرار سفينتان كبيرتان تسيران بالمجاديف، وعلى متن كل واحدة منها21 بحارا مهمتهما منع العبيد من الفرار بالسفن ومنع قوارب الصيد من الدخول إلى المرفأ.[2]

---

1 كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 52.

2 جيمس ليندر كاثكارات، مذكرات أسير الداي كاثكارات ( قنصل أمريكا في المغرب )، تر، إسماعيل العربي، ( د، ط)، الجزائر : د. م. ج، 1982م، ص 77.

لقد أجمع المؤرخون الأوروبيون والأمريكيون على أن البحرية الجزائرية كانت منظمة أحسن تنظيم، زيادة على شجاعة قادتها، ومن بين المؤرخين الذين أشادوا بذلك المؤرخ الفرنسي "دوغرامون" الذي قال : «لقد أخذت جرأة الرياس الجزائريين تتطور وتزداد باطراد. وهكذا حجزوا على عباب المحيط الأطلسي، والسفن الاسبانية المسلحة تسليحا ثقيلا والمحملة بالذهب والفضة والبضائع الفاخرة، وهي راجعة من أمريكا اللاتينية كما فاجاؤا أكثر من مرة سكان شواطئ خليج غسكونيا، وسواحل المنشى وبحارة الانجليز..»ونستنتج من هذا القول أن المؤرخ الفرنسي اعترف بقدرة البحارة الجزائريين على الزحف لأقصى شمال أوروبا وأشاد بالتفوق البحري للأسطول الجزائري رغم الإمكانيات الكبيرة للأساطيل الأوروبية وهذا نابع من قوة التنظيم المحكم الذي خضعت له هذه السفن مما مكنها من السيطرة على الحوض المتوسطي والمحيط الأطلسي، وكذلك نجد المؤرخ الفرنسي "هانري غاروا"يشيد بذلك فيقول : "إن القرصنة الإسلامية المنظمة في البدء كانت كدفاع مشروع للرد على الفرسان النصارى الذين ظلوا يتصرفون تصرفات الحروب الصليبية وقد تحولت في مملكة الجزائر إلى مؤسسة دائمة وريعها يصب في ميزانية الدولة..."[1] ويرجع المؤرخ الفرنسي هذا التنظيم وعملية القرصنة للظروف التي فرضت على المنطقة.

---

1 مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج1، الجزائر : دار الأمة، 2007، ص. ( 70- 71).

**ثانيا : أما في مجال التجهيز :** فقد اتبعوا أسلوبا مشابها لأسلوب التنظيم السالف الذكر حيث كان تجهيز السفن الصغيرة يشبه السفن الاسبانية في وهران لأن هذه الأخيرة تعتبر مكان تمركز التجار وهذه السفن كانت من النوع الذي له أشرعة بالإضافة إلى أخرى ذات تسليح.[1] حيث تبدأ عملية التجهيز عندما يصدر الداي أمرا لوكيل الحرج[2] بتجهيز الأسطول بحيث يبدأ بفرض حظر على السفن التجارية التي في الميناء لكي لا تغادره ثم يحبس العبيد حتى الغسق وبعده يعين لكل سفينة خبير في معاينة الأشرعة وإصلاحها ويساعده في ذلك ثلاثة من البحارة أو أكثر أحيانا.

وبعد ذلك تفتح الأشرعة من طرف العبيد بعد أن كانوا قد وضعوا حاجيات السفينة من مؤن وذخيرة ثم يرفعون علم الداي وأعلام كبار شيوخ الطرق بالإضافة إلى أعلام الدول التي هي في حرب مع الجزائر وكذلك الدولة التي خرج الأسطول للبحث عن سفنها. [3]وقبل ذلك فإنه كان يقام للبحارة احتفال ديني لرفع المعنويات ترافقه مأدبة مكونة من الكسكس ولحم الخروف مع دق الطبول وعزف المزامير.

---

1 حسن بن محمد الوزان الفاسي ( ليون الأفريقي )، وصف إفريقيا، ج1، ترن محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت : دار الغرب الإسلامي : ( 1983)م، ص 30.

2 **وكيل الحرج** : هو مسؤول عن النشاط البحري وتقسيم غنائم البحر، ويمتد نشاطه في بعض الأحيان ليشمل الشؤون الخارجية، مما يعطيه صلاحيات وزير البحرية والخارجية، ينظر، نصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19، ( د، ط)، وزارة الثقافة والسياحة، ( 1984)م، ص. ( 27- 28).

3 جيمس ليندر كاثكارات، المصدر السابق، ص. (78-79).

وبعد كل هذه الاستعدادات النفسية والمادية يأتي كاتب رئيس السفينة فيقوم بتسجيل أسماء المتطوعين الذين سيبحرون معه وتطلق المدافع عدة طلقات إيذانا على أن الأسطول مستعد للرحيل ويطلب من كل بحار أن يلتحق بالسفينة مزود بسلاحه الذي هو نفقته الخاصة المتمثل في البندقية والمسدس.[1] ثم يأتي المرابط لقراءة الفاتحة والدعاء للسفينة بتحقيق النجاح في عملياتها ضد العدو وبعد هذا الدعاء يقوم العبيد بحل سلاسل الرسو ويسير قبطان الميناء[2] ومساعديه في مقدمة السفينة لإرشادها حتى تخرج من الميناء وتدخل عرض البحر وكانت عند مرورها بقبة أحد الأولياء الصالحين تطلق عدة طلقات بالمدافع للتحية ثم تواصل سيرها. وكان هؤلاء الرياس يجهلون فن الملاحة فهم يعرفون فقط أن الساحل الاسباني يقع في الشمال والساحل الإفريقي يقع في الجنوب وكانت قمم الجبال هي بوصلتهم التي تقودهم في السير وتساعدهم على بلوغ الهدف.[3]

وبعد خروج السفينة وابتعادها عن الميناء يقوم العبيد بجمع السلاسل والحبال التابعة لها ووضعها في مخزنها انتظارا لعودتها.[4]لقد

---

1 عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من قبل التاريخ إلى 1962، ج1، دار المعرفة : الجزائر، (2006)م، ص. ( 56 — 57 ).

2 القبطان أو القبودان كما أطلقها عليه العثمانيين، وهي لفظ فارسي الأصل معناها أمير البحر، وتطلق على قائد الأسطول يأتي في الرتبة الثانية بعد الصدر الأعظم وأعلى مرتبة من الوزراء، ينظر، عبد اللطيف يوجلخة، الدولة العثمانية، (دن ط)، دار المعرفة : الجزائر، ( 2005)م، ص 121.

3 حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق وتع وتح، محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ( 1982)م، ص 117.

4 جيمس ليندر كاثكارات، المصدر السابق، ص 79.

كانت عمليتي التنظيم والتجهيز معقدتين للغاية لكن البحارة سرعان ما اعتادوا على هذا النظام وحافظوا عليه لسنوات طويلة واستطاعوا من خلاله السيطرة على البحر المتوسط.

### 4/ ميادين القرصنة للأسطول الجزائري

سنتحدث في هذا المبحث عن ميادين عمل الأسطول الجزائري، ولكن قبل أن نخوض في غمار هذه الميادين يجدر بنا التطرق إلى الرجال الذين قادوا هذا العمل الجبار فقد وصفهم "التمجروتي"(ابن الحسن سيدي علي بن المعظم أبي عبد الله سيدي محمد الجزولي)في كتابه"النفحة المسكية في السفارة التركية" «بأنهم تميزوا بالشجاعة وقوة الجأش والبصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو».[1]

من خلال هذه الشهادة يتضح لنا قوة شخصية هذه الطائفة التي حكمت الجزائر بقبضة من حديد وهذا راجع لمعرفتهم بكيفية التأقلم مع هذه الظروف وتسييرها لصالحهم حتى أنهم ضاهوا رياس القسطنطينية.

وبدأت نواة هذا الأسطول على يد الأخوين عروج وخير الدين، لتتطور وتتفاعل مع الظروف، وتصبح القوة الضاربة للدولة الجزائرية بصفة خاصة ولشمال إفريقيا بصفة عامة. حيث ورد في صفحات

---

1 مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : الجزائر، (1981)م، ص 57.

التاريخ ذكر لأسماء كثيرة لمعت في هذا المجال لاتسعنا هذه الصفحات القليلة لسردها فنكتفي بأشهرهم.

**خير الدين :** قال فيه الأمير شكيب أرسلان أنه إذا كان "اندري دوريا" أمير الأساطيل المسيحية فإن خير الدين يعد أمير الأساطيل الإسلامية[1] حيث ذاع صيته في البحر المتوسط اثر إنقاذه لمسلمي الأندلس فدخل في خدمة السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520)م للحصول على الدعم وأطلق عليه اسم "بكلربك"واستدعى لقيادة الأسطول العثماني في القسطنطينية في أكتوبر 1532م وحقق عدة انتصارات هناك وكانت وفاته سنة1541م.[2]

**حسن آغا الطوشي :** خلف خير الدين في منصب البيلربك، وعمل على قهر القراصنة الأوروبيين وتوطيد الأمن ووضع أسس الدولة كما حاول جمع أطراف البلاد حول السلطة المركزية حيث أخضع في عهده مدينة مستغانم واستولى على عاصمة الزاب وملحقاتها في الجنوب الشرقي فصار مثالا للبطولة والتضحية في سبيل الدفاع عن بلاد الإسلام في شمال إفريقيا وتوفي سنة1544م.[3]

---

1 شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تح، حسن السماحي سويدان، ط1، دار ابن كثير : دمشق، ( 2001)م، ص 156.

2 وديع أبو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، دار الأهلية : الأردن، ( 2003)م، ص 118.

3 عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط1، دار الأهلية : الأردن، (2008)م، ص 522.

**صالح رايس :** كان أحد أولئك الأفذاذ الذين صاحبوا عروج وخير الدين في عملياتهم.امتاز بقيادته الحكيمة في البحر وسياسته الخارجية والداخلية فالأولى تمثلت في : إبعاد الأسبان نهائيا عن الأراضي الجزائرية ووضع حد فاصل لمشاغبات الدولة المغربية السعدية وإعلان الجهاد. أما الثانية فتمثلت في : إدخال بقية أجزاء الصحراء الجزائرية تحت حكم السلطة المركزية بالجزائر العاصمة. توفي بمرض الطاعون سنة1556م.[1]

**مراد رايس** : عرف باسم MORATO ARRAES خدم تحت سلطة أكبر الرياس "كقارة علي"و "علج علي" ثم أسر من طرف القائد العسكري الصقلي"دوق بترانوفا" وتمكن من الفرار ودخل إلى التاريخ بأسره لسفينة بابوية في المحيط الأطلسي (جزر الكناري) جعلته عظيما في أعين الجزائريين فلُقب بالكبير لأنه أول من دخل إلى المحيط الأطلسي في القرن 16م.[2]

**الرايس حميدو بن علي** : (1765-1815)م لقد وصفه لنا "اسماعيل سرهنك باشا" في كتابه "حقائق الإخبار عن دول البحار" بقوله : «لقد كان على جانب كبير من الجرأة والإقدام حتى أنه كثير ما كانت العائلات الاسبانية تخوّف أولادها بذكره».يرجع أصله إلى أسرة جزائرية منحدرة من أصل أندلسي بدأ عمله في هذا

---

1 أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ( 1492 – 1792)، ط1ن دار البصائر : الجزائر، (2007)م، ص 317.

2 أبو القاسم سعد الله، "رياس البحر"، مجلة الدراسات التاريخية، ع03، جامعة الجزائر : الجزائر، ( 1987)م، ص 60.

المجال في الساحل الوهراني[1] فنال إعجاب الداي حسن بن حسين(1792-1798)م فأسند إليه رئاسة مركب ضخم يعرف بالشبك ومن هنا زادت شهرته وقوته حتى قال فيه"وليم شيلر w-shaler القنصل الأمريكي بالجزائر (1818-1824)م"عن الرايس حميدو" : «كان من الوطنيين الجزائريين القلائل الذين تقلدوا هذا المنصب لذكائه الخارق وشجاعته الفائقة»وتوفي سنة1815م.[2] وأمثال هؤلاء كثيرون ك "درغوث باشا"و"علج علي"و"سنان باشا" منقذ تونس وغيرهم، لقد كان هؤلاء الرياس في البداية من الأتراك الذين جاءوا مع "عروج"و"خيرالدين" ولكن الدائرة اتسعت لتشمل الأعلاج وبعض الأوروبيين الذين كانوا في الغالب من المتمردين على دولهم أو من المرتزقة.

أما ميادين عمل سفن القرصنة فلقد عملت في الحوض الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي فكانت مساراتها في هاتين الواجهتين على النحو الآتي :

**أولا : البحر الأبيض المتوسط**

سلكت سفن القرصنة الجزائرية في الحوض الغربي للمتوسط عند خروجها من الجزائر الاتجاه الشرقي المحاذي لشواطئ البلاد البربرية حتى أعالي جزر الأرخبيل ومملكة كاندي وعندها

---

1 عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الثقافة : لبنان، ( 1980)م، ص 582.

2 البيردوفال، الرايس حميدو، تر، محمد العربي الزبيري، ( د، ط)، المؤسسة الجزائرية للطباعة : الجزائر (1972)م، ص 27.

ينزلون في بحار صقلية وخليج البندقية ثم يعودون إلى بحر يولي وشيا وصولا إلى جنوة والقورنة وبروفانس وجزر كورسيكا وسردينيا ومايوركا ومينوركا ومنها العودة إلى الجزائر، ويقوم بهذا العمل في العادة سفينتان لكن في البداية كانت تقوم به أربعة سفن، وكانت تدوم هذه العملية 50يوما[1] وفي هذا الحوض قد غنم الجزائريون غنائم كثيرة يمكننا إحصائها عبر هذه السنوات الآتية :

في عام 1609م تم حجز سفينة اسبانية عليها عشرة رهبان، ثم تواصلت الغنائم في سنوات متتالية من نفس السنة لتطال ثمانية مراكب بحرية أوروبية حيث ذكر القنصل الفرنسي أنه مابين سنتي 1613-1621م استولى الجزائريون على936 وحدة أي سفينة، وفي سنة 1635م تمكن أحد رياس البحر الجزائريين من أسر الغليون البابولي الكبير وعليه حمولة من القمح وعشرة آلاف زوج من جوارب الحرير وعشرون كيسا من خيوط الذهب و76مدفعا و130رجلا كل هذه الغنائم أخذت إلى الجزائر.

وفيما بين سنة 1650م إلى سنة 1651م تمكنوا من الاستيلاء على مراكب كانت محملة بالأموال والأمتعة ولم تتمكن المدافع الأوروبية حيال ذلك من صدهم أو منعهم، ومن سنة 1737م إلى سنة 1799م قام الجزائريون بتجهيز 1008 مركبا بحريا للحرب ضد القراصنة الأوروبيين كرد فعل على الحملات التي شُنت على السواحل المغاربية، فغنموا من هذه الحروب أربعة مراكب فرنسية

---

1 جمال قنان، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 77.

و10مراكب سردينية و08 نابولية و03 يونانية محملة بالقمح.[1] وفي سنة 1813م استطاع الرايس حميدو أن يغنم من المراكب اليونانية 20 مركبا مشحون بالقمح والسلع المختلفة بالإضافة إلى سفينة حربية 44 مدفعا من البرتغال أطلق عليها اسم البرتغالية.[2]

نلاحظ أن كل هذه العمليات البحرية التي شهدها البحر المتوسط كانت عمليات قرصنة بحتة من الجانبين الجزائري والأوروبي فاتخذت طابع الأخذ والرد بين الجانبين كما سيرتها المصالح الاقتصادية أيضاً، كما أن الأسطول الجزائري لم يكن مستأثر بممارسة القرصنة وحده ولكن شهرته جاءت من تفوقه على الدول الأوروبية في هذا المجال.

**ثانيا : المحيط الأطلسي**

للوصول إلى المحيط الأطلسي سلك الأسطول الجزائري الطريق الذي يتجه إلى برشلونة وفلانس وأليكانت وملاقة فكان هذا الطريق مخصص للاستطلاع وللوصول إلى مضايق أعالي قادش وطنجة وتقوم بهذه العملية مابين ستة إلى ثمانية سفن وهذا راجع لوعورة المنطقة، وتنقسم هذه السفن إلى قسمين : قسم مهمته التجول على طول السواحل الاسبانية والبرتغالية فيبدأ من رأس سان فاسان إلى رأس فينستير، وقسم يُبحر في المياه العالية لمطاردة السفن التي

---

1 يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطى والحديثة، ج2، بيروت : دار النفائس، 1986، ص. ( 185-189).

2 عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 584.

يصادفونها في هذا الوقت، وكانت هذه العمليات لا تخلوا من غزو السواحل التي يمرون بها كغليسيا لأخذ الناس كأرقاء.

ومن الغنائم التي حصلوا عليها في هذا المحيط يمكننا ذكرها عبر سنوات مختلفة.

ففي سنة 1613م استولى"سليمان رايس" على جزيرة سانت ماري[1] وغنم منها مغانم معتبرة تمثلت في أسر 120شخصا كما استولى على جزيرة قريبة من جزر الكناري تدعى برتوا فغنم منها 700 شخص وفي هذه الأثناء استطاع الجزائريون الوصول إلى إسلندا شمال أوروبا والى جزر بستيمان، ومابين(1650-1654)م وصلوا إلى بليمون في بريطانيا كما تمكن بعض الرياس من الوصول حتى إلى الأراضي الأمريكية فاستطاعوا أن يفتكوا منها مركب انجليزي في تيكسيل texel، في سنة1799 خرج الأسطول الجزائري مرة أخرى إلى المحيط لاعتراض السفن البرتغالية حيث صادف المراكب النمساوية فاستولى عليها.كما أن الرايس "ابن طاباق" التقى بسفينتين برتغاليتين هما : بلاندرة وسكونة فاستولى على الأولى ولاحق الثانية فأغرقها في سواحل برشلونة وكانت تحوي 300 رجلا فأسرهم وتواصلت هذه العمليات إلى سنة1802م عندما تمكن "الرايس حميدو" من الاستيلاء على البجع le cygne قرب رأس الأسطول الجزائري إلى أن أغرقها الانجليزي اللورد اكسموث سنة

---

1 جزيرة تقع في المحيط الأطلسي قريبة من مضيق جبل طارق.

1816م.[1] ونلاحظ أن معظم العمليات التي حدثت في المحيط الأطلسي كانت استكشافية أكثر من أنها عمليات قرصنة وحتى الغنائم كانت قليلة مقارنة بعمليات الحوض المتوسط وهذا راجع لقلة خبرة البحارة في هذا المحيط.

بعد هذه جولتها في الحوض الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي تعود سفن القرصنة إلى الميناء رافعة علمها وعلم الدولة التي أسرتها ومطلقة ثلاث طلقات من مدفعها، يخرج قبطان الميناء ومساعدوه وعددا من العبيد في زورق لاستقبال هذه السفن العائدة لإرشادها إلى المرفأ وعقب وصول سفن القرصنة تسود المظاهرات المملؤة بالفرح والسرور وترافقها زغاريد النساء المتحجبات من فوق السطوح.

ومتى عادت هذه السفن بدون غنائم لا تقام لها هذه الاحتفالات[2] وبعد أن ترسوا تأتي القوراب لأخذ العبيد ثم يضعونهم في سراديب مظلمة وما هي إلا ساعات حتى يدخل عليهم عدد من كبار الدولة ومعهم وكيل الحرج "افندي الصغير"[3] فيقوم هذا الأخير مع معاونيه باستجوابهم وتسجيلهم بواسطة مترجمين وكتابة أسمائهم مع الكنية والجنسية والمهنة وغيرها من البيانات.

---

1 يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص. ( 190 – 193 ).

2 جيمس ليندر كاثكارات، المصدر السابق، ص 80.

3 **وكيل الحرج أفندي الصغير** : مكلف بالسجلات الخاصة بغنائم البحر، وأمور الديوانة ( الجمارك )، ويلقب أحيانا بقبو دان بالي لكونه المشرف على البحرية، ينظر، ناصر الدين سعيدونين موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19، المرجع السابق، ص 33.

وكان الذين لهم أقارب من هؤلاء الأسرى والقادرون على دفع فدية كبيرة يوضعون لفردهم أما الآخرون فيرسلون إلى بيسيتان وكان يعد آنذاك أكبر سوق للعبيد حيث يتم عرضهم إلى البيع.[1] أما بالنسبة إلى باقي الغنائم فكانت تقسم في السنوات الثلاثين من القرن 17م على النحو الآتي : يأخذ الداي 12% بمدينة الجزائر و10% في تونس و1% لإصلاح الرصيف البحري وكذلك المرابط يأخذ 1% والباقي من88 الى86% يذهب نصفه إلى ملاك السفن والنصف الأخر لطاقم السفينة وبحارتها فيقسم بينهم على النحو الآتي : الرايس يأخذ من 10 إلى 12 سهم، أما نصيب الأغا فهو 03 أسهم والانكشارية سهمين ورئيس المدفعيات 03 أسهم أما الربان فيأخذ 03 أسهم مع الملاح ورقيب الأشرعة وقيم الباب يأخذ سهمين والجراح ثلاثة آسهم والبحارة الذين على سطح السفينة لهم سهمين وإذا كان على ظهر السفينة رجال من أهل البلاد(الجزائريين)يأخذون سهم واحد لأنه لايعتمد عليهم كثيرا، أما بالنسبة للأرقاء فإن سيدهم يأخذ أسهمهم وأحيانا يعطي لهم جزءا منها.[2] لقد كان نظام تقسيم الغنائم نظاما صارما جدا رغم حدوث بعض التجاوزات من طرف الرايس فكان يأخذ من الغنائم قبل أن يطلع وكيل الحرج إلا أن الداي كان يتغاضى عن ذلك بسبب الجهد الذي بذلوه والأخطار الكثيرة التي كانوا يتعرضون لها.

---

1 باتسيك ماخوفسكي، تاريخ القرصنة في العالم، تر، أنور محمد إبراهيم، (د، ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة ( 2008)م، ص 113.

2 جون- وولف، المرجع السابق، ص.ص 196- 197.

من خلال ما تناولناه في هذا الفصل نخلص إلى عدة استنتاجات منها :

- ✓ تنوعت وتعددت قطع الأسطول الجزائري فمنها ما هو محلي(داخلي) ومنها ما هو خارجي سواء كانت من الهبات أو الهدايا المقدمة من طرف الدولة العثمانية أو البلدان الأوروبية.
- ✓ عرفت هذه السفن تطورا نوعيا بحسب السنوات فكانت صناعتها مميزة إلى درجة أنها كانت تسبب مشكلة لأساطيل الأعداء كما يعود الفضل في ازدهار هذه السفن إلى مساهمة كل من الأندلسيين والأوروبيين من الأسرى والأعلاج وكذلك السكان الأصليين(الجزائريين).
- ✓ كانت سفن القراصنة تخضع لنظام صارم ودقيق من حيث التنظيم في الميناء إلى عملية ترتيب الرياس والضباط في أماكنهم وكذلك الأمر بالنسبة للتجهيز الذي غلب عليه الإحكام.
- ✓ هذا التنظيم والتجهيز الذي خضعت له السفن مكّنها من القيام بعملها بشكل ناجح في البحار والمحيطات وخاصة في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وهذا ما مكنها من الوصول إلى أعالي الجزر وأقصى نقطة في هذه البحار، كما أن عائدات القرصنة كان لها دور مهما في تسيير الحياة العامة في الدولة الجزائرية وهذا ماسنتناوله فيما سيأتي لاحقا.

**5/ دور النشاط البحري وانعكاساته على مختلف قطاعات الدولة :**

ساهم النشاط البحري للأسطول الجزائري خلال هذه الفترة في مختلف الجوانب العامة للدولة سواء كانت سياسية أو اقتصادية

أو اجتماعية وثقافية وتعدى ذلك إلى العلاقات الخارجية، وقد تجلى ذلك من خلال قوة وضعف الأسطول الجزائري أثناء التطورات التي طرأت عليه بدءا من عهد رياس البحر وصولا إلى فرض سيادته على البحر المتوسط لمدة قرن ونصف من الزمن على الأقل قبل أن يبدأ في التراجع أمام الأساطيل الأوروبية الناشئة.

وقبل الحديث عن الدور الذي لعبته عمليات النشاط البحري للأسطول في تسيير شؤون الدولة الجزائرية نتطرق في البداية إلى دوره في المرحلة الأولى أي خلال بداية تشكل الدولة الجزائرية في ظل الحكم التركي.

**أولا** : كان دوره بالدرجة الأولى في هذه المرحلة هو إنقاذ مسلمي الأندلس بحيث سارع خير الدين على رأس عمارة[1] بلغ عدد سفنها 32 سفينة باتجاه السواحل الاسبانية التي التجأ إليها المسلمين فحمل منها عدد كبير من المسلمين المستضعفين والفارين بدينهم وكرامتهم من بطش وقسوة النصارى كما أنه كان يترك أكبر عدد من بحارته ليضع مكانهم عدد من اللاجئين فيوصلهم ثم يعود إليهم.[2] وقد أكد كثير من المؤرخين أمثال "شارل أندري جوليان"وصاحب كتاب غزوات عروج وخير الدين عن أخلاق وأعمال خير الدين البطولية مما يؤكد صحة أفعاله.

---

1 نقصد بالعمارة السفينة فقد كان يطلق على تجهيز السفن (عمارة السفن).

2 أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 208.

وتمكن الصالح رايس في هذا الصدد سنة 1529م من إنقاذ 60 مسلم أندلسي من نواحي بلنسية وكذلك الغارة التي شنها "حسن فنزيانو"و"مراد رايس"ضد سواحل أليكانت الاسبانية فقد وتمكن من خلالها على حمل حوالي 2000مسلم أندلسي والعودة بهم إلى الجزائر.[1] وهذا العدد كبير جدا إذا ما قورن بالإمكانيات التي توفرت عليها البحرية الجزائرية في تلك الفترة ولكن من جهة أخرى لا يمكننا نفيه لندرة المادة المعرفية حول هذه الإحصائيات.

ثانيا : يأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية تحرير السواحل المغربية من التواجد الاسباني حيث بدأت عملية التطهير بتحرير بجاية سنة 1555م وطرد الحاميات الاسبانية منها ثم مستغانم سنة 1558م على يد حسن بن خير الدين كما خاضوا معارك للحصول على المرسى الكبير سنة 1563م والتي حسمت نتيجتها في الأخير للمسلمين.[2]لم يقتصر دور الأسطول الجزائري في هذه المرحلة على هاتين النقطتين بل تعدى ذلك إلى جوانب أخرى كالسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي جاءت بعد الأمن والاستقرار الذي شهدته السواحل المغاربية وتشكيل الأيالة الجزائرية.

---

1 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ونهاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي : بيروت (1997)م، ص 76.

2 بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية، ط3، دار النفائس : بيروت، (1986)م، ص. ( 80 -96).

**5- 1 دور النشاط البحري في المجال السياسي** : يمكننا تقسيمه إلى قسمين هما :

**القسم الأول** : يكمن في نوعية الرجال الذين يحكمون بحيث لعبت الأرباح المتحصل عليها من خلال القرصنة دورا كبيرا في ازدياد نفوذ الرياس على حساب الأوجاق في الفترة الممتدة من سنة(1518-1671)م فأصبح البايلربايات يُعيَنون من طرف رياس البحر المشهورين[1] إلى غاية معركة ليبانت سنة 1571م أين مني الأسطول العثماني بالهزيمة أما الأساطيل الأوروبية فأصبح تعيين الباشا يتم عن طريق الباب العالي.

**أما القسم الثاني** : فتتمثل في صد الأعداء وبقي هذا الدور متواصلا إلى غاية نهاية التواجد العثماني في الجزائر وفي هذا المجال قام الأسطول الجزائري بأعمال جبارة ومشرفة ومن أمثلة ذلك :

- ✓ صده لحملة شارل الخامس سنة 1541م بعد نجاح حملته الأولى على تونس وتقريره التفرغ لمدينة الجزائر[2] إلا أنه هُزم هزيمة نكراء أمام الأسطول الجزائري والذي ساعده في ذلك الظروف الطبيعية وصمود سكان مدينة الجزائر.
- ✓ كما صد حملة الدانمارك سنة 1770م في عهد الداي محمد عثمان باشا وحملة الضابط أوريلي سنة 1775م التي أعد لها الملك

---

1 ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 200.

2 يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد(1780-1798)، الجزائر : د.م.ج، ( 1993)م، ص. ( 21-24).

الاسباني كارلوس الثالث وأسندت قيادتها إلى الضابط الايرلندي الأصل "الكونت أور يلي la conte oreilly"إلا أنها مُنيت بالفشل وجاءت بعدها حملة أنطونيو الأولى والثانية سنتي 1783م و1784م اللتان أوضحتا لهما صعوبة الحصول على الجزائر.[1]

بالإضافة إلى المحافظة على الاستقرار والأمن وحماية السواحل المغاربية من الغزوات الغربية على حسب قول "مولاي بلحميسي" في كتابه "تاريخ البحرية" عن تقرير كتبه "لانفرود وتشي" في تلك الفترة مفاده أن مدينة الجزائر وأسطولها لو دمرا فسوف يؤدي ذلك حتما إلى تدمير القوة العثمانية في السواحل المغربية ومصر وبذلك يسهل على المسيحيين الاستيلاء على هذه المناطق وتصبح خالصة لهم وبذلك يخسر المشرق مساعدة الجزائر وكذلك استئصال العثمانيين في طرابلس وجربة ومنستير وعنابة وبنزرت وغيرهم.[2]

كذلك من مهامه في هذا المجال هو وقوفه إلى جانب الأساطيل العثمانية في حروبها ضد الدول الأوروبية من جهة أو عندما تكون الإمبراطورية العثمانية مهددة من جهة أخرى ومن أهم هذه المعارك نجد : معركة ليبانت l'epante في اليونان سنة 1571م التي صمد فيها الأسطول الجزائري رغم تحطم الأسطول العثماني. وفي الحرب العثمانية الروسية سنة 1787م وكذلك وقوفه جنبا إلى جنب من أجل طرد نابليون

---

1 محمد العربي ولد خليفة، الجزائر والعالم ( ملامح قرن وأصداء آلفيه)، (د، ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية : الجزائر، (2001)م، ص61.

2 نفسه، ص 62.

بونابارت من مصر.[1] وكانت آخر معارك هذا التلاحم هي معركة نافرين في 20 أكتوبر 1827م ضد الحلف الروسي الانجليزي والفرنسي والتي رسمت نهاية دور الأسطول الجزائري.

**2-5 دور النشاط البحري في المجال الاقتصادي :** لقد كان النشاط الاقتصادي للسكان هو الذي يقوم عليها بحيث غدت مغانم القرصنة وكل ما يتصل بها من أسرى وإتاوات توفر مصدر هاما لكسب الرزق كما توفر مناصب شغل لغالبية سكان المدن الساحلية.[2] ومن خلال هذا يتضح لنا تراجع الدافع الروحي للجهاد البحري والذي طبعت عليه الصبغة السياسية والاقتصادية التي يُسيرها الربح والخسارة، كما أدت هذه الحياة الاقتصادية إلى رفاهية سكان المدن وزيادة الغنائم وتجمع الثروات بين أيديهم مثل ما فعل "علي بتشين" بحيث ذكرت إحدى الوثائق أن ثروته قدرت بـ 600 أسير.[3]

ورافق هذا الوضع ازدياد في المبادلات التجارية الداخلية بين المدن الجزائرية بحيث ارتفعت نسبة الرسوم من 8الى11% على الغنائم المحلية التي كان يتحصل عليها كل رايس ويقوم ببيعها في الداخل لكن ذلك تغيّر سنة 1780م عندما منعت القرصنة الخاصة من طرف الدولة فآل جميع المحصول من حروب القرصنة البحرية إلى خزينة

---

1 عمار عمورة، المرجع السابق، ص 268.

2 ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ ( العهد العثماني )، ( د ، ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب : الجزائر، ( 1984)من ص 44.

3 ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 201.

الدولة.[1]إضافة إلى ذلك دورها في حماية التجارة الوطنية وهو الذي يبرز من خلال حماية السفن التجارية الجزائرية واغتناء الخزينة بعائدات مالية وذلك بفرض سيطرتها على البحار والضريبة التي فرضت على المراكب المارة على السواحل الجزائرية لضمان أمنهما.[2]

**3-5 دور النشاط البحري في المجال الاجتماعي : :** نلمسه من خلال زيادة نسبة الأسرى في المدن حيث قدر عددهم في بعض الفترات بربع سكان مدينة الجزائر مما ساهم في جلب عناصر جديدة للتركيبة السكانية فمنهم من أصبحت له مكانة في دواليب الحكم كالعنصر اليهودي أو في النشاطات الاجتماعية والاقتصادية كالعنصر الأندلسي والأعلاج.[3] وبسبب هذه العناصر الوافدة حدث خلل في طبقات المجتمع وانقساما بين المدن والريف بحيث عاش سكان المدن في رفاهية بخلاف الريفيين الذين عانوا من الفقر والمجاعة والجفاف.

**4-5 دور النشاط البحري في المجال الثقافي : :** بفضل موارد القرصنة شُيّد في الجزائر عدد كبير من المساجد والزوايا والمدارس كما برز فيها التأثير العمراني والهندسي لآسيا الصغرى المتمثل في القباب الكبرى المثمنة الأضلاع التي تغطي المصليات وتحيط بها على

---

1 أندري بريـنـان وآخـرون، الجزائـر بـين الماضـي والحاضـر، تـر : اسـطنبولي رابـح ومنصف عاشور، (د، ط)، ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر ( 1984)م، ص 140.

2 ناصر سعيدوني، المرجع السابق، ص 201

3 عمـار بوحـوش، التـاريخ السياسـي للجزائـر، ط1، بـيروت : دار الغـرب الإسلامي، 1997، ص 77.

الجهات الأربعة أروقة سقوفها على شكل قباب صغيرة.[1]وهذه الحركة العمرانية كان يقوم بها بعض الأغنياء الذين كانت لهم عوائد من القرصنة بحيث أن الدولة لم تول اهتماما بهذا الجانب.

من خلال هذا المبحث نستنتج أن النشاط البحري للأسطول الجزائري أثر على جميع الميادين في الدولة الجزائرية بحيث عرفت هذه الفترة الزمنية(1518-1830)م نوعين من الأنشطة البحرية فقد كانت هناك الأنشطة الخاصة، التي تبناها رجال لهم نفوذ كبير في الدولة والتي عادت بالنفع بشكل مباشر على المجتمع وتجلى ذلك في ازدهار العمران وأخرى عامة أشرفت عليها الدولة وساهمت بدورها في تخفيف الضرائب المفروضة على السكان بسبب العائدات الوفيرة.

**5-5 دور النشاط البحري للأسطول وانعكاساته على العلاقات الجزائرية مع الدول المتوسطية :** استطاع خيرالدين باشا في نهاية الثلث الأول من القرن 16م أن يضع النواة الأولى للأسطول الجزائري والذي استطاع أن يُسيطر على البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون ونصف من الزمن مؤسسًا للجزائر علاقات مع محيطها الخارجي فاتسمت في غالبها بالود وروابط الصداقة خلال مرحلة القوة وبالخوف والتوتر أيام الضعف، حيث عرف الأسطول الجزائري أواخر العهد العثماني مرحلة جديدة كانت من أهم مظاهرها تغير موازين القوى بين الدول الأوربية والجزائر نتيجة ضعفه وتفككه

---

1 شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج2، تع : محمد مزالي وبشير بن سلامة، ط2، الدار التونسية للنشر والتوزيع : تونس، (1978)م، ص. ( 355 – 356).

ومما زاد الطين بلة ظهور الولايات المتحدة الأمريكية على مسرح الأحداث في البحر المتوسط فكانت بتهديدها المتواصل لحركة الأسطول الجزائري آخر مسمار دق في نعش هذا الأسطول، لقد كان من مظاهر قوة الجزائر العثمانية هو الأسطول نفسه، بحيث عرف تطورا مستمراً وحضورا قويًا في البحر استطاعت الجزائر بفضله عقد آلاف المعاهدات والاتفاقيات

**ومن أمثلة هذه المعاهدات نجد :**

- ✓ معاهدة 7 جويلية 1640م الموقعة بين فرنسا والداي والتي كان من أهم بنودها : تسليم الباستيون والمؤسسات الفرنسية الأخرى في الشرق الجزائري إلى دوكوكيل وإمكانية إقامة كنيسة في الجزائر من طرف القنصل الفرنسي مع تبادل الأسرى بين الطرفين لكنها رفضت من طرف الجانب الفرنسي فرافقتها معاهدة أخرى[1] ترضي الطرفين.[2].
- ✓ معاهدة مع الدانمارك سنة 1771م وكان من أهم بنودها أن تدفع الدانمارك ثمن الصلح الذي قدر بـ 2 ملايين ونصف مليون دولار.[3]
- ✓ معاهدة بين اسبانيا في 26 أوت 1786م وأهم ما نصت عليه هو : حرية التجارة الجزائرية في موانئ أليكانت ومالقا وبرشلونة مع

---

1 هذه المعاهدة الأخرى تأخر دوكوكيل في دفع المستحقات فقام الباشا إبراهيم بإضرام النار في كل ما هو موجود في حضن الباستيون.

2 صالح عباد، المرجع السابق، ص. (123-127). أما فيما يخص نص هذه المعاهدة ينظر للملحق رقم1 ص 49.

3 أحمد الشريف الزهار، المرجع السابق، ص 25.

دفع الأسبان ثمن الصلح والمقدر بـ 20 مليون فرنك بالإضافة إلى إيقاف عملية القرصنة بين الطرفين، كما دفع الأسبان أموالا طائلة للحصول على الصلح والسلم مع الجزائر وهذه الأموال مكنت الجزائر من إدخال بعض مظاهر التمدن إلى مدينتها كإنشاء بعض الحدائق وتشييد دُور جميلة زُينت بالرخام الذي جيء به من جنوة وليفورنا كما استعملوا الزليج.[1]

- ✓ معاهدة بين أمريكا سنة 1795م التي وقعها "جوزيف دونالد صوه"مع داي الجزائر وأهم ما نصت عليه هو : أن تتعهد الولايات المتحدة الأمريكية بدفع مبلغ قدره 725000 دولار مقابل افتداء الأسرى الأمريكيين في المقابل يقوم الداي بمساعدتهم للوصول إلى معاهدات صلح مع كل من إيالة طرابلس وإيالة تونس، وقد تميزت العلاقات الأمريكية الجزائرية في غالبها باستعمال لغة المدفع للحصول على معاهدة جيدة وبذلك فتحت المجال للدول الأوربية والتسابق في الحصول على نفس الامتياز.
- ✓ معاهدة مع السويد سنة 1814م والتي جاءت نتيجة تأخر السويد عن دفع الجزية السنوية إلى الجزائر مما جعل سفنها تتعرض للإغارة من طرف السفن الجزائرية[2] وهذا ما جعلها تسارع لعقد معاهدة سلام جديدة مع الجزائر مع دفع المستحقات.

---

1 صالح عباد، المرجع السابق، ص 169.

2 وليام شالر، مذكرات وليام شالر ( قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824)، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : الجزائر، ( 1982)م، ص 144.

وفي فترات السلم تبادلت الجزائر الرسائل والقناصل مع تلك الدول[1]، فعلى سبيل المثال تبادلت رسائل مع "جورج كلافرت"، "لورد بليتمود" وبين "جون شامبرلين" والسير ويليم جونسون" والقنصل "جيمس فريزال"[2] وتضمنت هذه الرسائل شكاوى من مطاردات السفن الجزائرية للسفن التي تخرق دولها المعاهدات المبرمة مع الجزائر.

غير أن الجزائر بدأت تفقد سيطرتها شيئا فشيئا على الشريط البحري وتدخل في عصر الضعف والانكماش منذ أواخر القرن 17م إلى أن تلاشت في الربع الأول من القرن 19م رغم ما عرفته في السنوات الأخيرة منذ القرن 18م وللسنوات الخمسة عشرة الأولى من القرن19م، وهذا ليس لأن الأسطول الجزائري تقدم بل نتيجة انشغال الدول الأوربية بأحداث الثورة الفرنسية وحروب نابليون وظهور بعض البحارة الأقوياء كالرايس حميدو.[3]وجاء الضعف والانحطاط نتيجة عدة ظروف منها الداخلية والخارجية.

**أ) الداخلية : اجتمعت عدة ظروف نذكر منها :**

- ✓ ضعف الإدارة المركزية بسبب استسلامها لليهود، بحيث وُضعت أهم الموارد الاقتصادية للبلاد في يدهم كأمثال اليهوديين "بكري

---

1 ينظر للملحق رقم9، ص 58.

2 God fery fusher, legende barbaresque guerre commerce et piraderie en afrique du Nord de 1415 a 1830 Traduit et annote, Farida Hellal, office des plecations Universtaires : Alger, 2000,p(432-433).

3 يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية، المرجع السابق، ص. (84-114).

وبوشناق"[1] من حبوب وفلين وخشب وصوف وزيت وغيرها من المواد الأخرى مما جعلهم يرفعون ثمن بعض المواد كالخشب، فإنجر عن ذلك سخط القبائل التي كانت تبيع لهم الأخشاب ومنعتهم من حملها فظلت هذه الأخشاب مكدسة وهذا ما أحدث فجوة في صناعة السفن الجزائرية.[2] لم يستطيع الأتراك العثمانيين تطوير البحرية رغم أهميتها بالنسبة لهم بسبب العدد القليل من أهالي الايالة الذين تدربوا على القيادة ومن الطبيعي أمام هذا الوضع أن لا يجد رأس المال الخاص لاستثماره في الحملات البحرية.[3]

- ✓ الانهيار السياسي الذي عرفته الأيالة الجزائرية بصفة خاصة وباقي الأقطار العربية بصفة عامة والذي جاء نتيجة سوء الحالة الأمنية والفتن والفوضى[4] مما جعل الأنظار تتجه من الاهتمام بشؤون البحر إلى معالجة الأمور الداخلية واثر هذا التدهور في نوعية الرجال الذين يحسنون قيادة السفن فلم يبقى إلا عددا قليل من الأعلاج القادرين على قيادة السفن تاركين بذلك المجال البحري لخدمة الجندية التي تدر عليهم ربحا أكثر من البحرية ففي سنة 1769 لم يتجاوز عدد البحارة 5300 بحارا[5] وهذا يدل على

---

1 اليهوديان بوشناق وبكري هما من أصل ليفروني بايطاليا استقرا بالجزائر خلال القرن 18م، فأسرة بوشناق هي الأولى استقرت بالجزائر في حدود عام 1723م ثم لحقت أسرة بكري، ينظر، حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 44.

2 عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1862)، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر، ( 1950)م، ص 29.

3 مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 321.

4 جون ب وولف، المرجع السابق، ص 19.

5 ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 200.

تراجع مكانة البحرية على المستوى السياسي والاجتماعي، وهذا الاعتماد الكلي على القوة البحرية أحدث خلل في النظام غداة تراجعها فأوجد فراغا عسكريا في الجزائر حيث أن فرنسا عندما دخلت إلى الجزائر لم تجد مقاومة رسمية بالمعنى المتعارف عليه والتي كان من المفروض هي المخولة للدفاع عن الأيالة.[1]

- ✓ ضف إلى ذلك الأضرار التي لحقت بالمدن الجزائرية من جراء الغارات المفاجئة للأساطيل الأوربية في الفترة الممتدة من(1634-1789)م وهذه الهجمات نتج عنها خسائر بشرية وعمرانية باهظة ولعل من أهم أسباب هذا التدهور في نظرنا هو تحول النشاط البحري من هدف ديني سامي جاء للدفاع عن الإسلام وحماية أراضيه من العدوان إلى أغراض اقتصادية بحتة جاءت طلبا للغنى والكسب والربح وهذا ما عبّر عنه المثل الشعبي الشائع في تلك الفترة بين البحارة(يابريطة ياكريطة ياقاع البحر) وهذا المثل يوضح لنا أن الغنائم كانت بالنسبة إليهم أهم من أي شئ آخر ولو كلفهم ذلك حياتهم.

**ب) الخارجية : نذكر منها :**

- ✓ تمكن التقدم الصناعي والمهارة الفنية للأساطيل الأوربية من تحدي القوة الجزائرية والوقوف في وجهها منذ أواسط القرن 17م

---

1 ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 45.

ونلمس ذلك في تمكن فرنسا من الاستيلاء على 10871 غنيمة بحرية بمياه المتوسط مابين(1793-1815)م.[1]

- ✓ إجهاد الأسطول الجزائري بسبب حروب الدولة العثمانية ففي معركة مالطا فقَد الأسطول الجزائري نصف وحداته كما خسر أسماءً لامعة من القادة الجزائريين مثل"علي بتشين".[2]
- ✓ أدت كثرة التدخلات الأجنبية بعد مؤتمر فيينا سنه 1815م إلى إحداث خلل سياسي في البيت الجزائري بحيث عرفت العلاقات الجزائرية الأوربية منعرجا خطيرا فعلى إثر ذلك تمكنت دبلوماسية المدفع الأمريكية من أن تحقق انتصارات على السياسة الجزائرية منذ سنة 1812م مما مهَد الطريق للدول الأخرى لأن تحذوا حذوها، فإنجلترا سيرت حملة بقيادة "اللورد اكسموث"للمطالبة باستخلاص آلات تجهيز السفن وغيرها من التجهيزات البحرية.

وكذلك منعت انجلترا وفرنسا حرية التنقل البحري على الأسطول الجزائري تحت التهديد ولم يكتفوا بهذه الحملة الشرسة بل تعدى ذلك، حيث قامت المؤسسات الفرنسية سنة1824م في عنابة والقالة بمساعدة ثورة القبائل وبتشجيع من القناصل والهيئات البرلمانية الانجليزية.[3]

---

1 ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص (199-200).
2 مبار بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 166.
3 جون ب وولف، المرجع السابق، ص 19.

وكان من نتائج انتهاء حروب الخلافة الاسبانية التفرغ لإضعاف الأسطول الجزائري خاصة بعد أن أصبح الانجليز متمركزين بقوة في البحر الأبيض المتوسط في جبل طارق وخليج فيكو vico وجزيرة ماهون، ضف إلى ذلك حصّن الفرنسيون قواعدهم في طولون ومرسيليا وهذا الطوق ضيّق الخناق على مجال القرصنة الجزائرية بينما اشترى الهولنديون والدول الأوربية الأخرى التجارية حصانتهم من الهجوم بدفع أتاوة في شكل نقود أو معدات حربية.

حتى الاتفاقيات التي دأبت الجزائر على عقدها مع الدول الأوربية والتي غالبا ما نصت على حرية الملاحة وحق المتاجرة قد قيدت حرية النشاط البحري الجزائري[1] فأدى ذلك إلى نزاعات دولية عند ممارسة الجزائر حقها فيه وجعل الدول الأوربية تفرض سيطرتها البحرية بحجة أن الجزائر خرقت الاتفاقية وهذا ما يسمح لهم باستخدام أسلوب المواجهة العسكرية لإرجاع حقهم المزعوم وتوقيع اتفاقيات وفق مصالحهم ومن أمثلتها الكثير فنجد :

- ✓ معاهدة سنة 1746م مع الدانمارك وبموجبها استطاعت إيقاف عملية القرصنة ضد سفنها وتخفيض الرسوم الجمركية على الواردات القادمة إلى الجزائر من 10% إلى 5% مثلما فعله الانجليز والفرنسيين والهولنديين[2].
- ✓ معاهدة مع هامبورغ سنة 1715م تضمنت عدة بنود منها :

---

1 ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 199.
2 صالح عباد، المرجع السابق، ص 163.

- ✓ حرية السفن الهامبرغية بالمرور إلى ميناء الجزائر والموانئ التابعة لها مع احترام تقاليد الدولتين.
- ✓ تخفيض رسومها الجمركية إلى 5% مثل الانجليز والهولنديين.
- ✓ عدم مطالبة الجزائر برسوم السلع المحضورة مثل : البارود والأخشاب والحبال والقطران.
- ✓ أن لا تسمح الجزائر لسفن أيالتها سواء كانت الكبيرة أو الصغيرة بالتسليح للغزو في البلدان المعادية لهامبورغ مهاجمة سفنها.[1]

وتعتبر هذه المعاهدة من أهم المعاهدات التي عقدت بحيث استطاعت هامبورغ وهي دولة أوربية صغيرة مقارنة بالدول الأوربية الكبرى أن تحصل على امتيازات كبيرة وهذا ليس لأنها أصبحت دولة قوية ولكن لضعف دايات الجزائر والأسطول البحري.

- ✓ معاهدة البندقية سنة 1763م والتي كان من أهم بنودها هو : إيقاف عملية القرصنة ضد سفنها مع تحديد الرسوم على الواردات ب 5% بالإضافة إلى منع الاسترقاق وإعفاء السلع الحربية من الرسوم الجمركية.

وعقب هذه التوترات التي عرفتها العلاقات الفرنسية الجزائرية أبرمت معاهدة 1764م وجاءت هذه المرة بعد موقف فرنسا من احتلال الأسبان لوهران والمرسى الكبير، فاتهمت فرنسا بالتواطؤ مع اسبانيا من جهة، ومن جهة أخرى قامت بأعمال قرصنة ضد السفن الجزائرية مع خرق معاهدة الباستيون فجاءت هذه المعاهدة عبارة عن توضيحات

---

1 جمال قنان، نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص 167.

وتأكيدات على معاهدة سنة 1689م السابقة[1] وبموجب هذه المعاهدة استرجعت فرنسا امتياز حصن الباستيون.

- ✓ المعاهدة الاسبانية الجزائرية سنة 1785م وكان من أهم بنودها :
- ✓ حرية تنقل الطرفين في البحر دون قيام أي طرف بأعمال تضر الآخر أو تزعجه متذرعا بحجة ما.
- ✓ أن تقوم سفن الأيالة بتقديم المساعدة للسفن التجارية الاسبانية مع حرية التفتيش.
- ✓ السماح للسفن الجزائرية بالرسو في جميع موانئ اسبانيا في حالة اضطرارها.
- ✓ السماح للتجار الاسبانيين بحرية التجارة بالموانئ الجزائرية مع دفع رسوم مماثلة للسكان الأصليين(الجزائريين).[2]

تعتبر هذه المعاهدة من أخف المعاهدات وهذا بسبب الحرب الدائمة بين اسبانيا والجزائر والتي عرفت بحرب 300سنة حسب قول توقيف المدني. جاءت جل هذه المعاهدات لتؤكد ضعف الدولة الجزائرية وتوضح صورة التكالب الأوربي عليها والتسابق في الحصول على اكبر قدرا من التنازلات. لكن قرار الحكومة الفرنسية بالإعلان عن تسيير حملة عسكرية ضد الجزائر قد حسم ذلك الصراع المرير الذي دام بينهما ثلاثة قرون ونصف تقريبا.

---

1 صالح عباد، المرجع السابق، ص 163

2 جمال قنان، المرجع السابق، ص. 215-216.

وهذا القرار كان نتيجة حتمية للتوجه الذي اتخذته الدبلوماسية الفرنسية في تعاملاتها مع السياسة الجزائرية منذ سنة 1820م فقبل هذا التاريخ بحوالي 18سنة كانت الحكومة الفرنسية تعمد دائما من حين لآخر إلى التلويح بإمكانية استخدام القوة ولكن الفكرة كانت تتجه دائما إلى القيام بعملية القصف لمدينة الجزائر.أما التفكير في تجريد حملة برية فقد كان مستبعدا خاصة بعد الكارثة التي لحقت بمحاولة الملك "لويس الرابع عشر"لاحتلال مدينة جيجل والاستقرار بها سنة 1664م.[1]

وما أن حلت سنة 1827م حتى قررت الأساطيل الانجليزية والفرنسية والروسية مواجهة الأسطول العثماني وحليفه الأسطول الجزائري بعد حصار دام أربعة أشهر وكان ذلك في 20 أكتوبر 1827م تمكن أسطول المتحالف المجهز بأحسن التجهيزات أن يحطم الأسطولين معلنا بذلك عن نهاية هذه القوة العظمى التي سادت البحر المتوسط لفترات طويلة من الزمن، لقد قضت معركة نافارين على معظم قطع الأسطول الجزائري فلم يعد قادرا على تجديد هذه القطع في ظل المشاكل السياسية والاقتصادية والأمنية.... التي كانت تتخبط فيها الدولة الجزائرية.

---

1 جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1830/1790، (دن ط)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد : الجزائر (1999)م، ص 368.

## الخاتمــة

نخلص في نهاية الفصل إلى أن النشاط البحري للأسطول الجزائري أثر طوال فترات ازدهاره على كل المجالات الحيوية للدولة الجزائرية، فكلما كانت عائدات القرصنة كبيرة رافقها استقرار سياسي وازدهار اقتصادي ونمو اجتماعي.وكلما تراجعت هذه العائدات عانت الجزائر من اضطرابات في علاقتها الخارجية مع انعكاسه على المجتمع فتزداد الضرائب مع انخفاض في المستوى المعيشي الذي يؤدي إلى انتشار الأمراض والفتن.

وتلك المعاهدات التي وقعتها الجزائر مع الدول المتوسطية مكنتها من بسط نفوذها على البحر المتوسط وهذا أثناء قوة الأسطول البحري ولكن في مرحلة ضعفه عادت عليها بالوبال داخليًا وخارجيًا رغم محاولتها التخلص من هذه العوائق بترميم الأسطول إلا أن تلك الترميمات لم تأتي بأكلها، فسرعان ما انهار هذا الأسطول أما الأساطيل الأوربية ذات الخبرة والكفاءة الصناعية وقد كانت عملية القرصنة موردا هاما لخزينة الدولة الجزائرية ولصيانة سفن القرصنة من خلال الإتاوات والضرائب المتمثلة في شكل قطع الأسطول ساهمت في تجديده باستمرار.لقد كانت نهاية هذا النشاط عقب مؤتمري فيينا سنة 1815م، وإكس لاشابال1818، اللذين أنهيا تجارة الرقيق وتحرير الأسرى المسيحيين في شمال إفريقيا[1]. لذا

---

1- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ( عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر) ج2، دار الغرب الإسلامي : بيروت( 2005)م، ص 378.

سارعت بريطانيا في تطبيق قراراتهما مستغلة في ذلك الثورات الانفصالية التي عرفتها الإمبراطورية العثمانية لتسيير حملة إلى الجزائر عرفت بحملة اللورد اكسموث سنة 1816م والتي أجبرت الجزائر على تحرير الأسرى والوعد بإنهاء الاسترقاق وجاء مؤتمر اكس لاشابيل(1818)م ليؤكد على نهاية القرصنة الجزائرية بصفة نظرية من خلال الإشعار الذي أرسلته الدول الأوربية إلى الداي حسين باشا سنة 1819م لكن القرصنة الجزائرية انتهت عمليا سنة 1830م باحتلال فرنسا للجزائر.